

التعريف بالشيعة

بعد مضي قرون على بزوغ شمس الإسلام والتشيع، لا يزال التعريف الذى ذكره أبان بن تغلب بن رباح الجريرى الكوفى (م ١٤١ هـ)، أحد أصحاب الإمام محمد بن على الباقر، والإمام جعفر بن محمد الصادق، يطرح نفسه كأحسن وأفضل تعريف للشيعة، والتعريف هو: «الشيعة الذين إذا اختلف الناس عن رسول الله أخذوا بقول على، وإذا اختلف الناس عن على أخذوا بقول جعفر بن محمد» (رجال النجاشى، ص ١٢).

يكون الشيعة والسنة اليوم اثنين من أهم فئات المسلمين فى العالم الإسلامى، قد اختارا الإسلام ديننا والتشيع والتسنن مذهباً، أو لنقل عرفا بهما. ولعل تاريخ نشوء الأسماء يختلف عن سير ظهور التيارات التى لقبت بشتى العناوين والأسماء فى الحقب اللاحقة، فى حين أنهما ليسا بمفترق عن الآخر.

فكما ذكر علماء اللغة، فإن لفظة «الشيعة» تعنى التابع والحزب وتفتقد لمعنى ومفهوم، ما لم يلحق بها اسم آخر. فعلى سبيل المثال كان مصطلح «شيعة على» و «شيعة عثمان» يستخدم فى منتصف القرن الهجرى الأول. وقد جاء فى رواية نقلها الحسكاني من عدة رواة حول شرح آية خير البرية (البينة/٧) بأن الرسول الأكرم صلوات الله عليه خاطب الإمام على عليه السلام قائلاً: أنت وشيعتك (شواهد التنزيل: ٢/٤٥٩ - ٤٦٠). ونرى التركيب نفسه فى أحاديث أخرى على لسان رسول الله صلوات الله عليه: يا على أنت وشيعتك فى الجنة (كشف الغمة: ١/١٥٥).

وكان مصطلحاً «شيعة على» و «شيعة عثمان» يجرى على ألسن الناس فى واقعة الجمل سنة ٣٦ هـ فقد كتب ابن الأثير حول أبو الغادية الجهنى قائلاً: وكان من شيعة عثمان. وهو قاتل عمار بن ياسر، وكان إذا استأذن على معاوية وغيره يقول: قاتل عمار بالباب (أسد الغابة: ٥/٢٣٧). ويقول ابن المطهر: الكوفة شيعة على والبصرة شيعة عثمان (البدء والتاريخ: ١/٣٤٤).

ولم تمض أيام حتى اخص عنوان «الشيعة» بـ «شيعة على» من غير أن يلحق به اسم آخر. ولعل الرسالة التى بعثها شيعة الكوفة إلى الإمام الحسين عليه السلام، والتى أرسلت بعد استشهاد أخيه الإمام الحسن المجتبى عليه السلام سنة ٤٩ أو ٥٠ هـ هى أقدم وثيقة استخدم فيها عنوان «الشيعة» للدلالة على أتباع الإمام على عليه السلام. وفى هذه الرسالة، يكتب شيعة الكوفة مواساة لاستشهاد الإمام الحسن عليه السلام قائلين: «ما أعظم ما أصيبت به هذه الأمة عامة وأنت وهذه الشيعة خاصة» (تاريخ اليعقوبى: ١/٢٢٨).

##PAGE=1##

يتعلق ظهور الجماعات السياسية المستقلة واستمرارها بمدى امتلاكها أسس فكرية تميزها من الآخرين. فمن غير المرجح أن تتحول جماعة سياسية إلى مذهب ما دون أن تمتلك مثل هذه الدعائم، أو أن تستمر بالحياة فى تاريخ عاصف وواسع وحافل بالأحداث. وفضلاً عن الطابع السياسى الذى جعل الشيعة يستقلون عن باقى الجماعات بسبب مواقفهم، وبوجه خاص بسبب قبولهم بقيادة الإمام على عليه السلام وعدم القبول بقيادة المعارضين، فإن التشيع كان يتمتع بجوانب فكرية سامية ومضمون مهم جعلته يتميز من الجماعات الأخرى.

إن حكاية ما يتضمنه التشيع فكراً وسياسياً، يمت بصلة إلى الخلافات التى طرأت بين قادة الصحابة حتى قبل حادث وفاة النبى صلوات الله عليه، ولاسيما بعده.

فى تلك اللحظة اختلطت النزاعات القبلية القديمة بالخلافات الدينية وجعلت بنى هاشم وبنى أمية يقفان وجهاً لوجه. وبالطبع فإن الموضوع لم يقف عند هذا الحد فقط. ففى ذلك الحين وقف بعض صحابة النبى صلوات الله عليه إلى

جنب الإمام على عليه السلام، إذ تشير المصادر إلى المواقف التي اتخذها كل من سلمان، وأبى ذر، ومقداد، وعمار، وعدد آخر من الصحابة دفاعا عن الإمام؛ مواقف اتسمت بالطابع الشيعي وانصبت في الدفاع عن الإمام على عليه السلام. ومع أن نبرة الخلاف السياسي لم تشتد كثيرا ظاهريا، إلا أن التشيع أخذ يستمر في طريقه في عمق المجتمع الإسلامي تدريجيا، نظرا لأن الشعب القائم كان تشعبا عقائديا.

ما تطرقنا إليه كان يتعلق بقبول القيادة والإمامة والاعتقاد بها كمسألة إلهية؛ غير أن ولادة التشيع فقهيها ولاسيما في مجال «السنن الشرعية»، حدثت عندما قدم اقتراح التمسك بـ «سيرة الشيخين» لدى وفاة الخليفة الثاني (نهاية سنة ٢٣ هـ) شرطا لتولي الإمام على عليه السلام الخلافة، وهذا ما رفضه الإمام نهائيا. وأظهر الحدث هذا بأن تباعد وجهات النظر من بعضها بعضا هو بمكان لا يسمح للقيادة الشيعية ضمان العمل بموجب نهج الفئة الأخرى وسيرتها (تاريخ الطبري: ٢٣٨ / ٤). ويمكن أن نعزو مرد هذا الخلاف إلى طبيعة المعتقد التي كان يحملها كل من الفئتين تجاه حجية السنة والسيرة النبوية ونطاقها. وحقا قيل بعدئذ بأن العصر الإسلامي الأول شهد اعتقاد فئة بالاجتهاد مقابل النص، فيما قبلت الفئة الأخرى - وهي الشيعة - بحجية السيرة النبوية كنص إلهي دون قيد وشرط، إذ التزمت بها كليا. وقد ظهرت مثل هذه الخلافات في الرأي في العصر نفسه وزادت من حدة الاصطفاة. فالشيعة وفي خضم الخلافات التي نشبت في مجال الفقه والكلام، لم يثقوا إلا بما روى عن المعصومين عليهم السلام من أحاديث، وجعلوها اطمئنانا لهم، المنهل الوحيد لسننهم الشرعية.

##PAGE=2##

هكذا أبان التشيع عن أسسه بسرعة. ومن بين الأمور التي سرعت تماسك وتناغم المجتمع الشيعي داخليا هي التسليم بالقرآن والرسول، ومودة أهل البيت والإيمان بإمامة الإمام على عليه السلام وأبناءه، والتمسك بالأحاديث النبوية عبر أهل البيت كمصدر للسنن الشرعية، والقبول بالتقاليد الشيعية الخاصة. هكذا يتبين بأن الإيمان بالإمامة وقيادة أهل البيت عليهم السلام كان المحور الأساسي الذي يدور عليه التشيع، وهو الكفيل على أصالة تشيع الشخص. فمن دون الاعتقاد بالإمامة لم يكن يقبل التشيع من أحد.

كانت واقعة الجمل وصفين من جهة وحادثة كربلاء من جهة أخرى من بين التطورات السياسية المهمة التي وضعت حدودا ثابتة بين فئتين كان يطلق عليهما آنذاك شيعة على وشيعة عثمان أو شيعة معاوية، وقد عرفتا لاحقا بـ «الشيعة» و«العثمانية» على سبيل الاختصار. واستأصلت تلك الحدود بحيث لم يكن بالمقدور إزالتها كاملا. وتقوم أسس التشيع الفكرية - الدينية على أساس المصادر الإسلامية وعلى تعاليم أهل البيت عموما. وبمعنى آخر يضم التشيع جميع المبادئ الإسلامية كدين كامل من وجهة نظر أهل البيت؛ كما أن التسنن هو دين من وجهة نظر فريق خاص من الصحابة. وما يشترك فيه التشيع والتسنن من حيث المبدأ - وهو الإسلام - كثير جدا وأساسي.

التشيع الإمامي، والتشيع الولائي:

إذا ما تخطينا أولى مبادئ مذهب التشيع في بحث الإمامة، سنجد بأنه ظهر بشتى الأشكال في التاريخ. وقد أدت كثرة الجموع الشيعية المتواجدة في مختلف نقاط العالم الإسلامي، وتحديدًا في أولى القرون الإسلامية التي شهدت تكاثر التشعبات المذهبية نسبيًا مقارنة بالقرون التالية، أدت إلى ظهور التشيع في عدة فرق مختلفة. واستمر هذا الظهور في مسارين: مسار التشعبات الداخلية المؤدى إلى ظهور تيارات مثل الغلاة، والمعتدلة، والزيدية، الذي سنتطرق إليه لاحقا. ويتمثل المسار الثاني في انتساب شخوص من ذوى التوجهات المذهبية المتعددة إلى حلقة التشيع، زعما منهم أو اتهاما

وجهه لهم الأعداء، فى حين أنهم لم يدعوه لأنفسهم. وفى الواقع أن بعض المعارضين ولكى يبعدوا عددا من المسلمين من صفوفهم، قاموا باحتسابهم ضمن حلقة الشيعة حتى يعرفونهم كأشخاص ضالين حسب زعمهم. والتشابه القليل بين بعض معتقدات أولئك الأشخاص مع معتقدات الشيعة يمكن أن يكون الذريعة التى تقف وراء هذا الإجراء.

##PAGE=3##

ومن هذه الزاوية يمكننا ذكر عدة أصناف من الشيعة لا يمت أى منهم بصلة إلى التشيع العقيدى والإمامى، غير أنهم كانوا ضمن المتشيعين لأى سبب من الأسباب، أو إن المعارضين فضلوا وصفهم شيعة:

أ: محبو أهل البيت عليهم السلام. صحيح أن جميع أهل السنة يعدون من محبى أهل البيت فى الوقت الحاضر، لكن فى العصر الذى شهد غلبة المذهب العثمانى - تلك الغلبة التى استمرت حتى منتصف القرن الثالث، وحتى عدة قرون فى بعض المناطق - كان أصحاب المذهب العثمانى يوجهون تهمة التشيع إلى العديد من محبى أهل البيت، إذ كان يطلق عليهم لقب الشيعة. وإذا ما كانوا أكثر ثباتا فى جبههم لأهل البيت، فلربما كانوا ينعنون بالرافضة. فى حين أن الشيعة كانوا يسمون أصحاب المذهب العثمانى بالنواصب. وكتب الرجال المهمة كميزان الاعتدال لشمس الدين الذهبى هى خير شاهد على هذا الادعاء. وكثير من هؤلاء كان ينقل الروايات والأحاديث المتعلقة بفضايا أهل البيت، فى حين أنه لم يكن يعتقد بإمامة الإمام على وأبناءه بوصفها أمرا إلهيا «منصوصا» عليها. وقد سئل الإمام العسكرى عليه السلام ذات مرة: ما الفرق بين الشيعة والمحيين؟ وأجاب: شيعتنا هم الذين يتبعون آثارنا ويطيعونا فى جميع أوامرنا ونواهيها ومن خالفنا فى كثير مما فرضه الله، فليس من شيعتنا (تفسير الإمام العسكرى، ص ٣١٦، ش ١٦١). يرشدنا الإمام فى حديثه هذا إلى الفرق القائم بين «المحب» و«الشيعة»، إذ أن المودة بمفردها غير كافية لقبول تشيع المرء.

ب: معتزلة بغداد المتشيعين الذين اتهمهم المعارضون بالتشيع. وبالطبع فإن هؤلاء المعتزلة كانوا يبجلون الإمام على عليه السلام كل التبجيل، حتى إن كثيرا منهم لم يترددوا فى قبول أفضلية الإمام على غير من الخلفاء أقل تردد. ومثل هذا المعتقد كان بعيدا كل البعد عن العقيدة العثمانية؛ ولذلك قام المعارضون بوصف معتزلة بغداد شيعة فى كتب الرجال والتراجم. فمجرد الاعتقاد بأفضلية الإمام على غير من الخلفاء كان كافيا لأن يطلق أصحاب المذهب العثمانى عنوان الشيعة على صاحب هذا المعتقد. حتى وإن كان يقدم الإمام على الخليفة الثالث فقط، فإنه كان يستحق لقب الشيعة الذى كانوا يعدونه وجها من وجوه الطعن والجرح. ومثل هذه الحالات كثيرة فى الكتب الرجالية القديمة لأهل السنة.

ج: يظهر التاريخ بأن كثيرا من معارضى الأمويين والعباسيين قد انضموا إلى الحركات الزيدية لمحاربة تلك الحكومات الفاسدة. والمعروف حول هذه الجماعة أنها لم تكن تؤمن بإمامة العلويين بوصفها نصا إلهيا، لكنهم وبصفة عامة كانوا يرون بأن العلويين أحق بالخلافة من بنى أمية وبنى العباس. والرجاليون العثمانيون كانوا يصفون مثل هؤلاء الأشخاص بالشيعة.

##PAGE=4##

وعموما يجب الانتباه إلى أن مناصرى أهل البيت لم يكونوا بالضرورة من الشيعة. فهؤلاء كانوا جماعة كبيرة من سكان العراق أحبوا أهل البيت ونقلوا فضائلهم كثيرا، حتى إنهم انتفضوا على الأمويين والعباسيين سياسيا. فإلى هذا الحد

يمكن اعتبارهم في عداد الشيعة. غير أنهم لم يأخذوا بآراء الشيعة فقها وكلاميا، والأهم من ذلك أنهم لم يؤمنوا بـ «النص على إمامة علي بن أبي طالب وأبنائه» كأساس للتشيع. لذلك يمكن الإشارة إلى ضرب من ظاهرة تدعى «التشيع العراقي» كان أصحابها يناصرون التشيع وهم متهمون بالتشيع وحتى الرفض، غير أنهم عمليا كانوا في عداد الحنفيين أو المعتزلة أو كانت لديهم نزعات مذهبية أخرى.

د: ظهر في القرن الهجري السادس وبعده فريق كان في الوقت نفسه شيعيا- سنيا، وذلك عندما اتجه عديد من أهل السنة إلى مزيد من الاعتدال، والاقتراب من الأئمة المعصومين. فضلا عن الاعتقاد بالخلفاء الأربعة، كان هذا الفريق يتبع أحد المذاهب الأربعة، ويقبل بالأئمة الاثني عشر. ويمكن أن نطلق عليهم عنوان «السنة الاثني عشرية» دون أن يكون للعنوان أى اعتراف تاريخي. وكان هذا الاتجاه يتواجد بكثرة على امتداد القرن السادس حتى العاشر الهجري وقد استمر بعد ذلك في ما وراء النهر وتركيا.

يتعين هنا النظر إلى نقطة مهمة وهي السؤال عن مدى اتساع دائرة التشيع. فعندما نصف شخصية أو دولة ما بالشيعة، فيلى أى نطاق نوسع حدود هذه الدائرة؟ لا بد من القول بأن مختلف الشخصيات أو الدول التى يتم تصنيفها تحت عنوان الشيعة، بما فى ذلك من شخصيات أو دول زيدية، وإمامية، وإسماعيلية، تقع ضمن دائرة التشيع، كما يؤكد زيغ بعض منهم. وفيما عدا هذه الفرق، لا تحمل الجماعات المتشيعية الأخرى عنوان التشيع رسميا. لكن النقطة الأهم تكمن فى ضرورة النظر فى عدة معايير عندما نكون فى شك من تشيع أحد. وتتعلق هذه المعايير ذات الشرعية من وجهة نظر الخبراء، بتلك المعتقدات أو التعبيرات التى يتم استخدامها حولهم. فالشاعر الذى يقوم بنظم قصيدة الغديرية، يمكن اعتباره شيعيا رسميا إلى حد ما، حتى وإن لم يكن لدينا أية دلائل أخرى. والسياسى الذى يوصى أن يدفن بجوار ضريح الكاظمين، فيمكن التيقن من تشيعه. وفيما يتعلق بدولة علوية ينتمى أمرؤها إلى السادة، فإنها تعتبر قريبة من التشيع الرسمى مع احتمال عدم وضعها تحت عنوان الشيعة بالضبط. كما إن الأواصر الأسرية، ولاسيما أسر شيعية عريقة كالبويهيين، تعتبر معيارا حاسما فى هذا المجال، ذلك أن المبدأ فى تحديد مذهب شخص ما هو تبعيته لما كانت عليه أسرته. وقد حاولنا فى هذا الكتاب معالجة هذه الأمور منطقيا وعلى أساس الأدلة التاريخية.

##PAGE=5##

الشيعة، الراضى و...

بغض النظر عن عنوان مثل الشيعة والذى بدأ من كلمة وانتهى ليصبح مصطلحا للدلالة على المسلمين الشيعة، فإن عددا من الفرق والطوائف المسلمة قد سميت بطريقتين فى أقل تقدير وهما: تسمية المعارضين، إذ يتم إطلاق عنوان أو أكثر على إحدى الفرق وقد يكون منشأ الاختيار هذا هو التهكم أو أى شىء آخر بحيث يجعل تلك الفرقة تتميز من غيرها من الفرق. مثل عنوان الراضى الذى استخدم للدلالة على الشيعة. وتتمثل الطريقة الثانية فى أن يختار أتباع الفرقة أنفسهم اسما يتسم بشىء من الإطراء.

فالشيعة تحبذ لفظة «الإمامية» عنوانا لها. ولا يستبعد إطلاقا قيام أتباع فرقة ما باستخدام عنوان لم يكونوا مقتنعين به من ذى قبل والاقتران به تدريجيا. ولربما تقوم بعض المصادر باستخدام بعض الأسماء المتعلقة بطوائف معينة تنتمى إلى مجموعات فرعية من المذهبيين الشيعى والسنى للدلالة على عموم أتباع ذلك المذهب.

وقد استعمل الخصوم والأعداء مختلف الأسماء للدلالة على الشيعة. ولا سيما أن عنوان الشيعة هو الاسم الأكثر شيوعاً من هذه الحلقة ولم يستخدم لأتباع مذهب الإمامية فقط، بل تعدى ذلك ليشمل الزيدية، والإسماعيلية، والفرق الفرعية الأخرى. وقد سبق وقلنا بأن لفظة «الشيعة» تعنى لغوياً التابع وقد تحولت تدريجياً إلى مصطلح خاص. وفى شأن العناوين التى استخدمها خصوم الشيعة للدلالة عليهم تهكماً، فيمكن الإشارة إلى أسماء كالرافضة، والترابية، والسبائية. ففي رسالة وجهها إلى معاوية، يشير عبيد الله بن زياد إلى جماعة تدعى «الترابية السبئية» يقودها حجر بن عدى قد وقعت فى وجه معاوية (تاريخ الطبرى: ٥/ ٢٧٢). وإن لم تكن الرسالة هذه موضوعاً، فعبيد الله يلمح إلى اليمانيين الذين كانوا يناصرون الإمام على عليه السلام؛ ذلك الرجل الذى أطلق عليه الأمويون ازدراء لقب أبى تراب ووصفوا أتباعه بالترابية.

ظهر عنوان «الرافضة» خلال حركة زيد بن على سنة ١٢٢ هـ استناداً إلى المصادر الموجودة. فعندما رفض عدد من أصحاب زيد دعم حركته حين امتنع عن إباء شرعية الشيخين، سماهم زيد بالرافضة. يقول الطبرى عند ذكر هذا الخبر: فهم اليوم يزعمون أن الذى سماهم الرافضة المغيرة (تاريخ الطبرى: ٥/ ١٨١). وهناك من يشك فى صحة ما نقل عن زيد حول هذه التسمية. حتى إن عدداً من المصادر الشيعية أظهرت قناعتها بعنوان الرافضة، فقد قال الإمام الصادق لأبى بصير: لا والله ما هم

##PAGE=6##

سموكم ولكن الله سماكم به أما علمت يا أبا محمد أن سبعين رجلاً من بنى إسرائيل رفضوا فرعون وقومه لما استبان لهم ضلالهم فلحقوا بموسى عليه السلام لما استبان لهم هداة فسموا فى عسكر موسى الرافضة لأنهم رفضوا فرعون (الكافى: ٨/ ٣٣). وفى مقام آخر يقول أحد الأئمة المعصومين مخاطباً الشيعة: ما لهم ولكم وما يريدون منكم وما يعيبونكم يقولون الرافضة نعم والله رفضتم الكذب واتبعتم الحق (بصائر الدرجات: ١٤٩). فاستعمال عنوان الرافضة كان أمراً شائعاً يقف وراءه توجه مشحون بالازدراء أكثر من أى شىء آخر. ومنذ ذلك العهد حتى اليوم وصف الخصوم الشيعة بهذا التعبير (كابن كثير فى البداية والنهاية، والذهبي فى تاريخ الإسلام). وتنص أولى المصادر الشيعية على أن أعداء الشيعة هم الذين وضعوا عنوان «الرافضة» عليهم (معتقد الإمامية: ٤٠). ومع أن المصادر المعتادة قد ذكرت حكاية زيد لظهور عنوان الرفض، إلا أن جماعة وضاع الحديث قد نسبت مراراً أحاديث مفترية إلى الرسول الأكرم صلوات الله عليه فى ذم الرافضة وقدحهم! ومن جهة أخرى استخدم الشيعة عنوان «الناصبى» أو «النواصب» للدلالة على معارضيتهم العثمانيين، والنواصب هم الذين نصبوا راية عداء أهل البيت عليهم السلام.

ظهر كل من مفهومى الشيعى والعثمانى مقابل الآخر، والأمر يصدق على عنوانى السننى والبدعى اللذين استخدمهما خصوم الشيعة، إذ وصفوا أنفسهم بالسننى وأهل السنة، وأطلقوا على معارضيتهم من المعتزلة والشيعة والخوارج عنوان البدعى وأهل البدعة.

وفضلاً عن هذه الأسماء، فإن وصف الشيعة بعناوين أخرى مثل الغالى كان أمراً سائداً. وقد استخدم هذا الوصف وما شابه ذلك لفصل بعض الشيعة من الجماعات الأخرى. وبطبيعة الحال فإن هناك بون شاسع بين أن يسمى شيعى إمامى أحداً ما بالغالى، وكثيراً ما حدث ذلك، وبين أن يصف مؤلف سننى من القرن الثالث وما بعده شيعياً بالغالى.

أما بعض العناوين الأخرى كالإمامية والاثني عشرية والقطعية فإنها تمت بصلة إلى الفرق الشيعية الفرعية وقد أصبحت تدريجياً اسماً لغالبية الشيعة من باب إطلاقها على الأكثرية الشيعية. ويختص عنوان «المتاولة» (أو المتاوردة) لشيعة لبنان وحلب إذ كان يستخدم محلياً للدلالة عليهم على مر عدة قرون.

##PAGE=7##

التشيع بين الصحابة والتابعين

سيق وأن أشرنا إلى أن الخلافات السياسية بين قريش قد ظهرت خلال حياة رسول الله صلوات الله عليه وبرزت نفسها في مجال اختيار الحاكم بعد وفاة النبي مباشرة. والسياسة ذات طبيعة تسمح لها بتمركز السلطة باستخدام مختلف الطرق والخطط، إلا أن طبيعة الخلاف القائم آنذاك ولأنه لم يكن سياسياً بحتاً، جعلته يستمر بالتواصل في عمق المجتمع. ومن الصحابة من كانوا يعتقدون بمرجعية الإمام على عليه السلام علمياً؛ ولم يكفوا يوماً عن الاتكاء على «مودة أهل البيت». فمثل هذا التيار العارم والساكن في أعماق المجتمع الإسلامي كان يعطى الاستمرارية للتشيع. وقد نقل عن أبي ذر بأنه قال: ستكون فتنة فإن أدركتموها فعليكم بكتاب الله وعلى بن أبي طالب (أنساب الأشراف: ٢ / ١١٨). وينقل ابن الأثير حديثاً من رسول الله صلوات الله عليه رواه أبو ذر وهو: لو صليتم حتى تكونوا كالحنائر ما نفعكم حتى تحبوا آل رسول الله (النهاية في غريب الحديث: ١ / ٤٣١).

وقد نقل مقداد عن رسول الله صلوات الله عليه بأن «معرفة آل محمد» براءة من النار و«حب آل محمد» جواز الصراط، و«ولاية آل محمد» أمان من العذاب (سنن ابن ماجه، ج ٢، ص ١٢٧٠، ش ٣٨٤٢). وتشيع عمار بن ياسر أوضح من أن يحتاج إلى ذكر أدلة ووثائق. فقد عاش جنباً إلى جنب مع أمير المؤمنين عليه السلام حتى آخر لحظات حياته. وكذلك الأمر عند مقداد وسلمان. ولن ينسى التاريخ أبداً توضيحات رجال خلد مثل حجر بن عدى، وعمرو بن حمق الخزاعي، الصحابييين اللذين قتلوا بأمر معاوية. وفيما عدا هؤلاء الأشخاص، كثر كانوا شيعة على ولاسيما في مناصرته ونقد الخلفاء، ولاسيما الخليفة الثالث. يقول ابن الأثير حول أبو الطفيل عامر بن وائلة، وهو آخر من مات من الصحابة: كان من شيعة على (أسد الغابة: ٢ / ١٨٠). وكانت أم سلمة زوج رسول الله صلوات الله عليه من المدافعين المتحمسين عن الإمام على عليه السلام. يقول ابن العساكر: سألت أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم عن على فقالت: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول إن علياً وشيعته هم الفائزون يوم القيامة (تاريخ دمشق: ٤٢ / ٣٣٣). وفي الصفحة نفسها نقل ابن عساكر هذا الحديث عن طرق أخرى. ويقول البلاذري: ذكرت شيعة على و عثمان عند أم سلمة، فقالت: ما تذكرون من شيعة على و هم الفائزون يوم القيامة (أنساب الأشراف: ٢ / ١٨٢).

استمر هذا التشيع بين التابعين في نطاق أوسع. فإذا لم يكن مستمراً بالحياة، فكيف به يصل إلى هذا المستوى من الثبات والصمود؟ وكان شيعة على - بما تحمله الكلمة من مختلف المعاني - يكونون

##PAGE=8##

غالبية التابعين في الكوفة، ومن بينهم النخبة الشيعية نظير كميل بن زياد النخعي (أنساب الأشراف: ٢ / ٤٧٣). والشيعة الذين تربوا في المدرسة العلوية، كانوا يحملون أكبر درجات الإيمان بالإمام على وحب؛ منهم ميثم التمار الذي

استشهد قبل أيام من عاشوراء بأمر من ابن زياد، وكان أبناء أسرته من بين أبرز الشخصيات الشيعية على امتداد عدة قرون.

إن خواص التابعين أو الشيعة العقيدة هم أولئك الذين وقفوا بجانب الإمام الحسن والإمام الحسين عليهما السلام. وكانت كربلاء تجسدا لتضحيات شيعة على تجاه شيعة معاوية ويزيد. والتهافتات التي كان ينادى بها خواص أصحاب الإمام حسين عليه السلام في كربلاء هي خير دليل على هذه الحقيقة. ولنا معرفة بأسماء كثير من هؤلاء الذين ذكرتهم المصادر تحت عنوان «من شيعة علي» وكانوا من بين القيادات الشيعية في العراق. وغالبا ما كانوا يستخدمون في قصائدهم، وخطبهم، ومراسلاتهم حديث الولاية (رواية الغدير) وتعبير الوصاية الذي يدل على إيمانهم بالنص على إمامة علي بن أبي طالب الإلهية. وموضوع استخدام هذه التعبيرات في الأدب الشيعي بحث منفصل يحتاج إلى الدراسة والبحث في مقام آخر. فهذا حجاج بن مسروق يخاطب الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء قائلا بأن الإمام هو ابن علي «الوصي» (الفتوح: ١٣٧/٥).

يعد التوابون أول جماعة شيعية أدخلت تقاليد زيارة قبر الإمام الحسين عليه السلام جماعيا في منظومة الثقافة الشيعية. وفي ذلك الوقت كانت كوفة مقر الشيعة وهي مفعمة بنشاط رجالها ونسائها لدعم آل علي. وتواصل حراك الشيعة وباتت كوفة قاعدة تنقل هذا الحراك إلى مختلف أنحاء العالم الإسلامي بما في ذلك إيران. ومن أراد التفصيل فعليه بمراجعة الفصل من الكتب في هذا الشأن، إذ إن المقام هنا لا يناسب دراسة تاريخ الشيعة.

التشيع التفريطي، والمعتدل، والغالي:

كانت كيفية ظهور مختلف الفرق ونشوتها داخل المذهب الشيعي موضع اهتمام المتعلمين من الشيعة منذ البداية. فكلا كتابي فرق الشيعة والمقالات والفرق هما من تأليف القرن الهجري الثالث، وقد تناول مؤلفاهما الفرق الشيعية بالبحث والتوضيح. وبصرف النظر عن السؤال عن أسماء الفرق وتشعباتها، يمكننا تقديم ثلاث نزعات رئيسة للتشيع هي: أ: النزعة التفريطية ويمثلها التشيع الزيدي؛ ومع أن عدد من الفرق الزيدية تعتقد بإمامة الإمام علي عليه السلام، إلا أن الأغلبية لا تؤمن بالنص الجلي؛ وقد سبق الإشارة إلى أن النص على إمامة الإمام علي هو أساس مذهب التشيع. والزيدية لا يتبعون أئمة أهل البيت فقهيًا وكلاميًا بوجه كامل ولو أنهم يمتلكون الروح العامة للتشيع وهذا ما جعل مؤلفي كتب الفرق يعدونهم في عداد الشيعة.

##PAGE=9##

ب: النزعة المغالية، ويمثلها الغلاة من الشيعة. والعقيدة الأوضح لدى الغلاة في مجال التشيع هي نسبة الألوهية إلى الأئمة عليهم السلام أو تفويض قسم من الشؤون الخاصة بالله إلى دائرة صلاحياتهم. وقد جابه الأئمة هذا التيار بالاستنكار والتنديد، وتزخر المصادر الموثوقة بعشرات الأحاديث الصريحة ضد الغلاة والمتطرفين والتصديقات الصريحة التي قام بها أئمة أهل البيت عليهم السلام في مواجهتهم. وإذا ما تخطينا «نسبة الألوهية» فبالطبع هناك من يبحث عن الغلو في جوانب أخرى، هي الأخرى مثار الجدل والخلاف. وفي وجهة نظر الجماعة المعارضة للتشيع، فإن مجرد الاعتقاد بإمامة الأئمة عليهم السلام أو بقسم من المعتقدات الشيعية الرسمية يدخل المعتدلين من الشيعة في عداد الغلاة، وهذا لا يمت بصلة إلى ما يعرف بـ«الغالي» داخل المصطلح الشيعي.

وللغلاة دور كبير في تشويه سمعة التشيع على مر التاريخ الإسلامي، ولكون بعض الحدود غير معروفة بين الشيعة، دائما ما اضطر المعتدلون من الشيعة إلى فصل الطريق الذي يربطهم بالغلاة وتقديم إيضاحات للآخرين حول

ذلك. ومنذ القرن الأول أخذ الغلاة يسببون مضايقات للأئمة عليهم السلام ودائما ما كان من أهم مساعي الأئمة الطاهرين وعلماء الشيعة إبداء انحراف الغلاة عن التشيع للعيان. يقول الإمام جعفر الصادق عليه السلام: أدنى ما يخرج به الرجل من الإيمان أن يجلس إلى غال ويستمع إلى حديثه ويصدقه على قوله (بحار الأنوار: ٥ / ١٨). وغالبا ما يعود هذا الانحراف إلى جوانب روحية، أضف إليه تشدد المعارضين في معاملة الشيعة، مما جعل عددا منهم يميلون إلى التطرف. يرشدنا ما تبقى من آثارهم في كتب الملل والنحل، وكذلك في المؤلفات الرجالية، إلى تعدد نحل الغلاة التي كان يوجهها قائد أو مجموعة من القادة الخاصين بهم. وتباين وجهات نظرهم كان يتعلق في الدرجة الأولى بعقيدتهم تجاه مكانة الأئمة وتفويض منازل ربوبية إليهم. فبعضهم مثل أبو الخطاب الأسدی، ومغيرة بن سعيد كان على ضلال تام حاملا مزاعم مبالغ فيها حول الأئمة. إلا أن بعضهم كان ما يزال يتردد إلى الأوساط الشيعية، ومع ذلك فقد ضعف الرجاليون من علماء الشيعة حديث العديد منهم. ومفضل بن عمر الجعفي هو من جملة الذين تأرجحوا بين الغلو والاعتدال، ومع أنه لم يكن يعتقد بإناطة مكانة ربوبية إلى الأئمة، لكنه كان يغالي في مكانتهم. والمؤلفات المنسوبة إليه تحولت لاحقا إلى إحدى أهم مصادر الغلاة. وفي القرنين الثاني والثالث بات خطر الغلو يهدد الأوساط الشيعية بصورة خطيرة، مما أدى إلى أن يؤلف نخبة علماء الشيعة كتباً في رد ونقد الغلاة، وعادة ما تحمل هذه الكتب عناوين الرد

##PAGE=10##

على الغلاة، والرد على الغالية في المصادر الشيعية، وقد أُنْفِها علماء مثل علي بن مهزيار، ويونس بن عبدالرحمن، وأبو سهل اسماعيل بن علي النوبختي، وسعد بن عبد الله الأشعري. وللغلاة اسم آخر بين الأوساط الشيعية وهو «المفوضة» أي الذين يعتقدون بتفويض بعض الأمور الخاصة بالله إلى رسول الله صلوات الله عليه وعلى بن أبي طالب عليه السلام.

وترشدنا دلائل إلى دوام نفوذ الغلاة في بعض النقاط الهامشية بالعالم الإسلامي، وقد أثر هذا النفوذ في عدد من التطورات السياسية التي شهدتها قادم القرون. والعليون في تركيا وسوريا، هم مثال على بقية ذلك التيار. وقد ترابطت بعض معتقدات الغلاة بالعقائد المحلية وأسفرت عن ظهور نحلات تتباين بأصولها العقيدية مع المعتقدات الإسلامية المألوفة أشد تباين. ومثل هذه النحل لم يكن يربطها بالتشيع الإمامي والزیدی أي صلة، وكانت تعمل باستقلالية تامة بصورة عامة.

ج: النزعة الوسطية ويمثلها التشيع الإمامي وبالتحديد التيار الشيعي الأصيل الذي يرى أساس الإسلام في الكتاب والسنة النبوية؛ والسنة المتأصلة لديه، لا سيما في الفقه، هي التي أخذت ورويت عن أهل البيت عليهم السلام. والأئمة وفقا لهذه الرؤية، عينهم الله وقد استمدوا جميع علمهم ومعرفتهم من القرآن والسنة النبوية، ويعدون حجة للشيعة قولا وفعلا. ولا وجود لأية نسبة الوهية للأئمة في هذا المعتقد. وعلى مر التاريخ اتخذ علماء الشيعة وعلى رأسهم الشيخ الصدوق (م ٣٨١ هـ) والشيخ المفيد (م ٤١٣ هـ) موقفا مناهضا ضد الغلاة. فالشيعة الاثنا عشرية أو الإمامية، هم شيعة بعيدون كل البعد عن عقيدة الغلو، ومع حبهم لأهل البيت عليهم السلام، يعدون قبول سلطتهم العلمية أساسا للتشيع. يقول الإمام جعفر الصادق عليه السلام: إحدروا على شبابكم الغلاة لا يفسدونهم، فإن الغلاة شر خلق الله، يصغرون عظمة الله، ويدعون الربوبية لعباد الله (أمالی الطوسی: ٢/٢٦٤).

والواقع أن التشيع الإمامي هو القيم الحقيقي على تراث التشيع، والذي يؤمن بأساس الإسلام والقرآن، لكنه يرى بأن فهمهما لا يتحقق إلا عبر معارف وعلوم أهل البيت عليهم السلام. وفضلا عن حضوره الدائم فى مراكز الإسلام الرئيسة، فإن التشيع الإمامي كان فى تفاعل وتواصل فكرى مع الطوائف الأخرى.

##PAGE=11##

التشيع التفقهى والباطنى:

يمكن تناول قضية الغلو بين الفرق الشيعية بطريقة أخرى، فالقرآن والسنة النبوية المتجسدان فى الفقه الإسلامى يكونان نواة التشيع الرئيسة، والفقه هذا يستمد شرعيته من تأييد المعصومين عليهم السلام وذلك عبر العلوم التى اكتسبها من النبى صلوات الله عليه. والأساس فى هذه الرؤية هو ظاهر الشريعة التى فسرها وبينها المعصومون إرشادا للناس وهديا لهم.

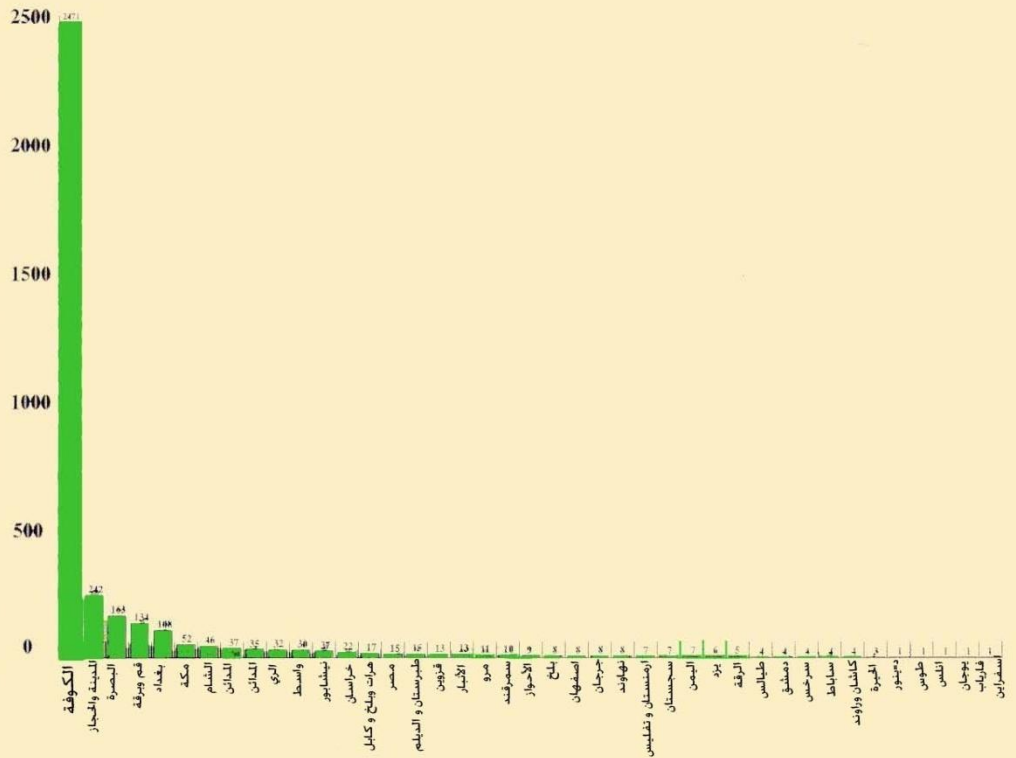
وفى مقابل هذه النظرة المتأصلة، تقف رؤية مناهضة تسعى لإبداء الظاهر غير أصيل لتجعل النزوع إلى الباطن أساسا للتشيع. ويتمثل أسلوب الوصول إلى الباطن فى هذه الرؤية فى وجه من تأويل الظاهر واستكشاف ما يدعى باطن الآيات أو الروايات. وما يعرف بالظاهر فى هذا التفسير هو مجرد دليل على الباطن، والمقصد الحقيقى يكمن فى الباطن الكائن فى ما وراء الحجاب وليس فى ظاهر المفاهيم ومدلولها الشكلى.

ليس هناك أدنى شك فى أن الباطن يولى اهتماما فى التشيع، غير أن تحديد الباطن هذا لا يتم عبر ما يقدمه مختلف الأشخاص من تفاسير، بل يحدد فى إطار البديهيات والأوليات التى نقلت عن المعصومين عليهم السلام. ومن بين مختلف الاتجاهات الشيعية، فإن الاتجاه الإسماعيلى هو المتهم بالاهتمام الباطنى بنحو مفرط إلى حد أدى إلى تعطيل الفقه، إذ باتت أكثر المفاهيم الدينية الظاهرية إصالة تفسر وتؤول إلى معان غريبة وغير مألوفة. وتعد هذه الحركة شاهدا على وجه من الغلو والتطرف فى التعاليم الدينية، ومصداقا على ما حظره الله تعالى من الغلو فى الدين. ولما كانت هذه النزعة تتمتع بقاعدة قوية لدى الغلاة، انتشرت العديد من الروايات الموضوعية التى تنص على النزعة الباطنية فى النصوص الشيعية ودائما ما كان علماء الشيعة يحذرون منها.

إن ما يميز الشيعة الإمامية من الاتجاهات والفرق الغالية والإسماعيلية يكمن أساسا فى الأهمية والمكانة التى يولوها للفقه. ولذلك لا يمكن مقارنة المكانة التى يتمتع بها الفقهاء فى المجتمع الشيعى مع أى مفكر شيعى مهمتم بمواضيع أخرى غير الفقه.

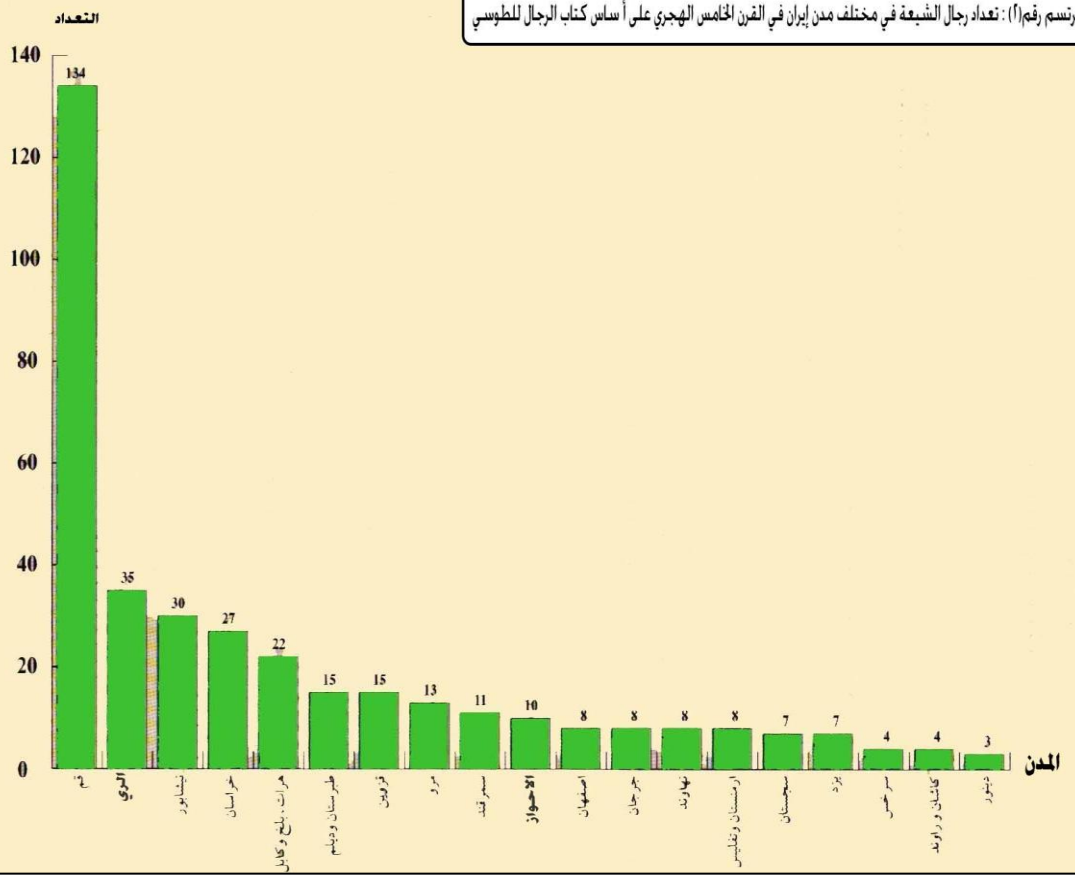
##PAGE=12##

مرتسم رقم (ا) تعداد رجال الشيعة في المدن المختلفة في الأراضي الإسلامية حتى القرن الخامس الهجري على وفق كتاب الرجال للطوسي



##PAGE
=13##

مرتسم رقم (أ): تعداد رجال الشيعة في مختلف مدن إيران في القرن الخامس الهجري على أساس كتاب الرجال للطوسي



التشيع الأصولي والإخباري

هناك تباين عام في الرأي على أساس هذين الاتجاهين بين الشيعة. فالشيعة الإخباريون هم الذين يكتفون بظاهر أحاديث أهل البيت عليهم السلام ولا يقبلون بأي نوع من أنواع الاجتهاد العقلاني. وقد أدى بهم هذا الاكتفاء بظاهر الأحاديث إلى ضيق في الأفق والتفكير نظرا لكثرة الأحاديث الباطلة من جهة، وتعطيل سبيل العقل للتعلم فيها من جهة أخرى. والاتجاه الثاني الذي يمثله الشيعة الأصوليون يحاول تقديم رؤية أكثر عقلانية من الدين فقها وكلاميا، فضلا عن التخلي عن الأحاديث الموضوعية. وذلك بالاعتماد على الأحاديث الصحيحة ومنهج أهل البيت عليهم السلام في فهم القرآن. ويعد تجاهل القرآن من بين المشاكل التي كان يعاني منها الشيعة الإخباريون المعروفون بأصحاب المذهب الحشوي سابقا. ولديهم نزعة تشددية تجاه من يخالفهم الرأي، في حين أن الشيعة الأصوليين اتخذوا موقفا معتدلا في هذا المجال. يخاطب عبد الجليل الرازي في القرن السادس من يعادى الصحابة والسلف الصالح وأزواج الرسول صلوات الله من الشيعة ويقول: إذا ما علم كل مسلم الفصل هذا أو سمع به، أخاله للشيعة مذهبا، لكن الله تعالى عليم بأن مذهبكم الإمامي وبهذا النهج، بعيد كل البعد عن الأصولية. فلا ضير إن تقول أخباري أو حشوي أو غال، أما عزوه إلى الأصولية فهو منتهى الأمانة خيانة والإسلام تناءيا (كتاب النقص: ٢٣٥).

ويعد كل من الشيخ المفيد (م ٤١٣ هـ)، والسيد المرتضى (م ٤٣٦ هـ)، والشيخ الطوسي (م ٤٦٠ هـ) من أهم زعماء التشيع الأصولي، فمدرستهم هي التي وضعت التشيع بالكاد في طريق الاعتدال والأصولية. ومن بين ما كان ولا يزال يعرف به التشيع الحشوي والإخباري المتطرف في تلك الحقبة هو التمسك بفرعيات المعتقد الشيعي وتقديمها كأصول أساسية، والابتعاد عن الإسلام المتأصل وتهميش الإسلام الشيعي؛ في حين أن الشيعي الأصولي يضع القرآن، والحديث النبوي، وأهل البيت مبدأ له أولا وقبل كل شيء، وفي حين يحافظ على الحدود العامة للتولي والتبري، لا يبني نهجه على أساس تضخيم الفرعيات والثانويات أو سب الآخرين وشتمهم.

في حين أن تقسيم التشيع على الأصولي والحشوي في القرن الرابع حتى السابع كان يتعلق بمجال القضايا الكلامية، إلا أن هذا التقسيم دخل مجال الفقه والاجتهاد الفقهي في القرون الخمسة الماضية. وشهد الاتجاه الإخباري تناميا حادا في إيران، والعراق، والبحرين في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين، ولكن مع ظهور نخبة من كبار المجتهدين الشيعة ولاسيما الشيخ الأنصاري، أخذ التيار الإخباري في الفقه ينحسر ويتهافت تدريجيا من أواخر القرن الثاني عشر ولاسيما خلال القرن الثالث عشر. وقد قدمنا الإيضاحات في موضعه الأصلي فيما يتعلق بهذا الشأن.

التشيع العربي والإيراني ودور الموالي:

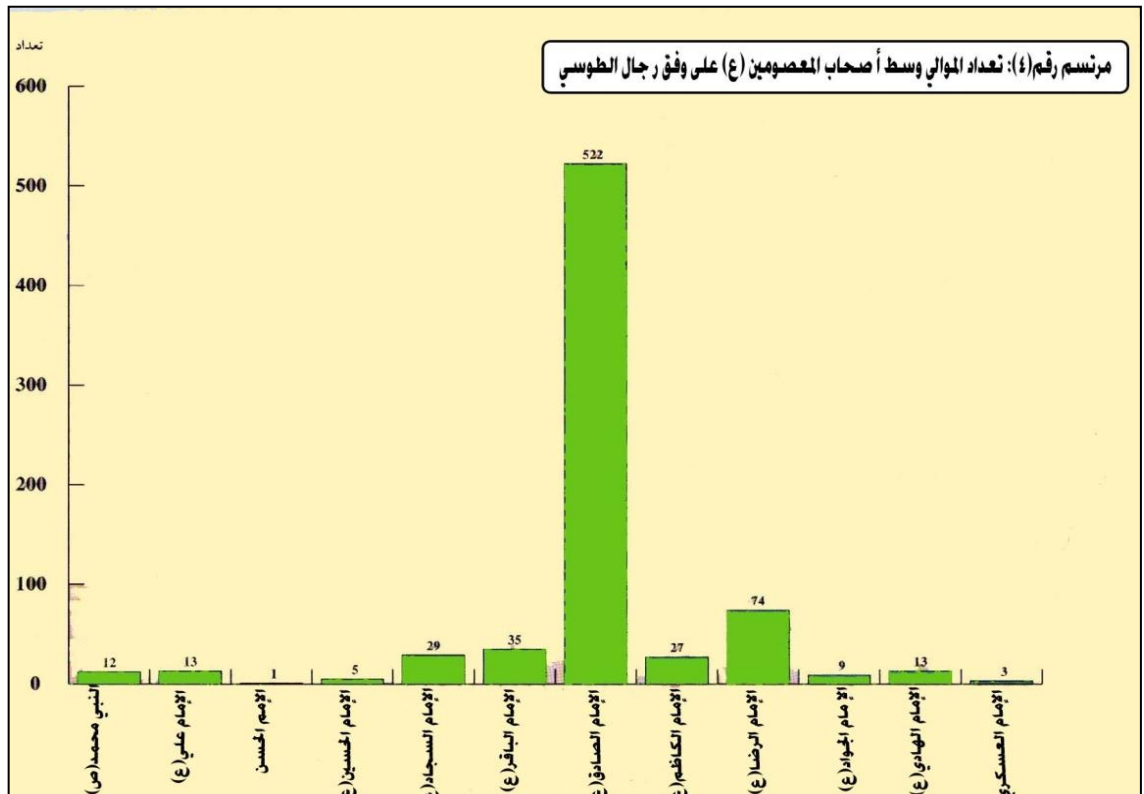
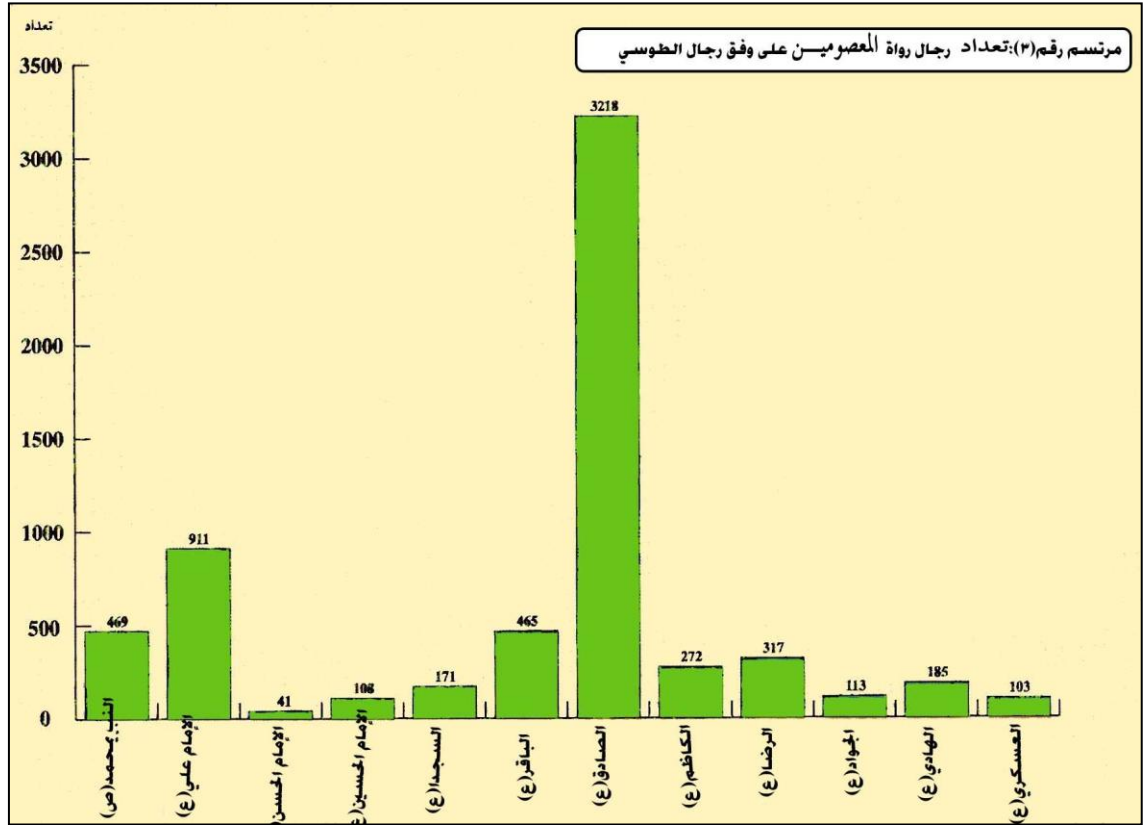
هناك عاملان اثنان لعبا دورا مفصليا في تصور يتعلق بمنشأ التشيع لدى بعض أوائل الرحالة والدارسين الأوروبيين في القرن التاسع عشر ممن تناولوا تاريخ الشيعة هامشيا، مما حدا بهم إلى أن يظنوا بأن التشيع مذهب إيراني. فعند قراءتهم لأحداث ثلاثة قرون قبلهم، كما وقائع عصرهم، كانوا يرون بأن إيران تكون مركز ثقل التشيع في العالم الإسلامي، أضف إليه تلك التقارير التاريخية التي كانت بحوزتهم حول ثورة العلويين في إيران وقيام حكومة علوية في شمال إيران.

وقد أدت مثل هذه الأمور إلى خلق تصور لديهم كما لو أن التشيع مذهب اختاره الإيرانيون، أو حتى أكثر من ذلك، كأن الإيرانيين فضلوا التشيع بوصفه درعا لمواجهة الإسلام! وبفعل ما كان يقال خطأ حول دور الموالي المتباين في تطورات صدر الإسلام وانحياز عدد منهم إلى التشيع، باتت تلك الحكاية تصدق، إذ زادت من وتيرة هذه الفرضية الخاطئة.

لكن الآن وفي ظل الكم الهائل من الدراسات التي أجريت عن التشيع في الشرق والغرب، قد تبين بأن التشيع كان ظاهرة عربية، وقد دخل إيران أول مرة بوساطة القبائل العربية مثل الأشعريين. وتاريخ التشيع في الشام، خاصة في حلب ولبنان، وقيام واستمرار الدولة الفاطمية في مصر، وانتشار التشيع في اليمن على نطاق واسع، وتصاعد قدرات التشيع في المدينة، والمناطق الشرقية في الجزيرة العربية والبحرين حتى يومنا هذا، واتساع رقعة التشيع في جنوب العراق خلال عدة قرون، وتحديدًا عندما كان التسنن هو المذهب السائد في إيران، كل هذه الحقائق هي خير دليل على أن التشيع المتأصل نابع من صميم الإسلام وقد جاءت به القبائل العربية إلى إيران. وقد خصصنا بحثًا منفصلاً في هذا الكتاب لتناول قضية تأثير التشيع العربي المتأصل على التشيع الإيراني على مرّ القرون.

ولا يخفى على أحد الدور المهم الذي لعبه الإيرانيون في نشر التشيع في مختلف الفترات، لاسيما في الآونة الأخيرة. والمثير للاهتمام هو أن الدولة العثمانية بالكاد هي التي عملت أساساً على تغليب التسنن قسرياً على العالم العربي في الفترة الممتدة من القرن العاشر حتى الثالث عشر، وقد رافق هذه العملية إزالة التشيع من العديد من مناطق في العالم العربي.

##PAGE=
17##



وما سيأتي في هذا الكتاب ، سيظهر نطاق اتساع التشيع في العالم العربي، ونظرا لما تحتله إيران من أهمية للتشيع في القرون الأخيرة، فضلا عن وجود أعلى نسبة سكانية للشيعة فيها، أتينا بإيران قبل غيرها من البلدان.

هنا تبقى نقطة وهي دور الموالي في التشيع. عادة ما يطلق هذا المصطلح على الأعاجم الذين كانوا يعيشون بين العرب في أولى القرون الإسلامية وربطتهم بالقبائل العربية الأعراف القبلية التي كان يقوم عليها نظام الولاء عند العرب مثل العقد والقسم (الحلف)، وذلك للحصول على ما للعرب المسلمين من حقوق اجتماعية. وكان كثير منهم من أصول عربية، ولكن لأسباب ما كانوا قد فقدوا قبائلهم وانضموا إلى أخرى.

وما قيل حول انحياز ومناصرة الموالي للتشيع في أولى القرون الإسلامية، كلام يفقد إلى أسس علمية. فالموالي كانوا عادة يتبعون قبائلهم مذهبيا وسياسيا، فإن كانت القبيلة شيعية النزعة كان مواليها من أنصار الشيعة؛ وإن كانت على غير ذلك، فإن الموالي كانوا يحذون حذوها. ومثل كثير من الشخصيات العربية، كان عدد من الموالي يتمتعون باستقلالية في الرأي والموقف، إذ كانوا يتخيرون التشيع مذهباً لهم. ومن ثم ليس هناك أي فرق بين مواقف الموالي والآخرين. و أخبار تاريخية تشير إلى أن الموالي من الإيرانيين كانت لديهم ميول خاصة إلى الإمام على عليه السلام، إذ كانوا على مرأى ومسمع من سلوك الإمام وأبنائه المتصف بالعدل والإنصاف. أو كما قيل، شهدت ثورة المختار مشاركة عدد من الموالي الإيرانيين. ولكن بصفة عامة، لا يمكن اعتبار مثل هذه المواقف اتجاها ثابتا.

وبمجرد مطالعة كتب الشيعة الرجالية، نستيقن بأن تواجد الموالي بين أصحاب الأئمة، مقارنة بالشيعة العرب، ليس له أية سمة خاصة، بل كان طبيعياً يتناسب مع أعدادهم.

معتقدات الشيعة:

في مجتمع يتواجد فيه مذهبا الأكثرية والأقلية، دائما ما يحتمل أن تقدم الأكثرية على تشويه عقائد الأقلية وآرائها. وبالكاد هي مشكلة كانت قائمة للشيعة. وجل الكتب التي كان يستخدمها المسلمون للتعرف بالفرق، كتبها أكثرية كانت تحاول أن تضع معتقدات الأقلية محل الشك والريبة. ولهذا السبب ومن أقدم الأيام، بادر علماء الشيعة إلى تبين معتقدات الشيعة الصحيحة بالاستناد إلى تعاليم أهل البيت عليهم السلام، وألفوا مختلف الرسائل الموجزة والمفصلة في هذا الشأن. ومن أقدم ما كتب في هذا المجال، رسالة الاعتقادات للشيخ الصدوق (م ٣٨١ هـ). ومن الطبيعي أن يكون هناك خلافات بين علماء الشيعة في الجزئيات؛ ولذلك بادر الشيخ المفيد (م ٤١٣ هـ) إلى تأليف رسالة تصحيح الاعتقاد، إذ نقح مؤلف الشيخ الصدوق. واستمرت هذه العملية وألف العديد من الكتب والرسائل بهذه العناوين.

إذا ما أردنا معرفة الشيعة، من المهم أن نصل إلى معتقداتهم عبر كبار علماء التشيع لكي نتجنب شوائب التزييف والتحريف.

و هذه رسالة «واجب الاعتقاد» للعلامة حسن بن يوسف الحلبي (ت ٧٢٦) في معتقدات الشيعة

بسم الله الرحمن الرحيم، و به نستعين

الحمد لله على نعمائه، و صلى الله على سيد رسله، و أشرف انبيائه، محمد المصطفى، و على المعصومين من
ابنائهم.

أما بعد: فقد بينت في هذه المقالة واجب الاعتقاد على جميع العباد، و لخصت فيها ما يجب معرفته من المسائل
الأصولية على الأعيان، و ألحقت بها بيان الواجب من أصول العبادات، و الله الموفق للخيرات. فنقول:
يجب على المكلف أن يعتقد أن الله تعالى موجود، لأنه أوجد العالم بعد أن لم يكن، إذ لو كان العالم قديماً لكان أما
متحركاً أو ساكناً، و القسمان باطلان:

أما الحركة فلأن ماهيتها تستدعي المسبوقية بالغير، و القديم لا يصح إقتضاء أن يكون مسبوقاً بالغير، فلا يعقل قدم
الحركة.

و كذلك السكون، لأنه عبارة عن الكون الثاني في المكان الأول، فيكون مسبوقاً بالكون الأول بالضرورة، و
الأزلي لا يصح أن يكون مسبوقاً بغيره، فثبت حدوث العالم، فيجب أن يكون له محدث بالضرورة، و هو المطلوب.
و لا يجوز أن يكون كذلك المحدث محدثاً و إلا إفتقر الى محدث آخر، فاما أن يتسلسل أو يدور، أو يثبت
المطلوب، و هو اثبات مؤثر غير محدث، و التسلسل و الدور باطلان، فثبت المطلوب.
و يجب أن يعتقد أنه تعالى واجب الوجود، لأنه لو كان ممكن الوجود لأفتقر الى مؤثر، فاما أن يدور، أو يتسلسل،
أو ينتهي الى واجب الوجود، و هو المطلوب.

و يجب أن يعتقد أنه تعالى قديم، أزلي، باق، أبدى، لأنه لو جاز عليه العدم لم يكن واجب الوجود، و قد ثبت أنه
واجب الوجود.

##PAGE=21##

و يجب أن يعتقد أنه تعالى قادر، لأنه لو كان موجبا لزم قدم العالم أو حدوثه تعالى، لإستحالة انفكاك المعلول عن
علته، و قد بينا أن العالم محدث.

و يجب أن يعتقد أنه تعالى عالم، لأنه فعل الأفعال المحكمة المتقنة، و كل من كان كذلك كان عالماً بالضرورة.
و يجب أن يعتقد أنه تعالى حي، لأن معنى الحي هو الذي يصح منه أن يقدر و يعلم، و قدينا أنه قادر، عالم،
فيكون حياً بالضرورة.

و يجب أن يعتقد أنه تعالى قادر على كل مقدور، و عالم بكل معلوم، لأن نسبة المقدورات و المعلومات اليه
بالسوية، لأن مقتضى إسناد الأشياء اليه هو الإمكان، و جميع الأشياء مشتركة في هذا المعنى، و ليس علمه تعالى ببعض
الأشياء أولى من علمه ببعض الأخر، فاما أن لا يعلم شيئاً منها، و قدينا استحالته، أو يعلم البعض دون البعض، و هو ترجيح
من غير مرجح، أو يعلم الجميع، و هو المطلوب.

و يجب أن يعتقد أنه تعالى سميع، بصير، لأنه عالم بكل معلومات، و من جملتها المسمع و المبصر، فيكون عالماً
بهما، و هو معنى كونه سمياً بصيراً.

و يجب أن يعتقد أنه تعالى واحد، لأنه لو كان معه إله آخر لزم المحال، لأنه لو أراد أحدهما حركة الجسم، و أراد الآخر سكونه، فاما أن يقامعاً و هو محال، و إلا لزم إجتماع المُتَنافِيين، و إما أن لا يقعا معاً فيلزم خلو الجسم عن الحركة و السكون، و هو باطل بالضرورة، أو يقع مراد أحدهما دون الآخر، و هو ترجيح من غير مُرَجِّح.

و يجب أن يعتقد أنه تعالى مريد، لأنه أمر بالطاعة على جميع العباد فيكون مريداً لها، و لأن نسبة الحدوث الى جميع الأوقات بالسوية، فلا بد من مُخصَّص و هو الأرادة.

و يجب أن يعتقد أنه تعالى ليس بجسم، و لاجوهر، و لا عرض، و إلا لكان مُتَحَيِّزاً أو خالاً في المُتَحَيِّز، فيكون مُحدثاً، و أنه تعالى يستحيل عليه الحلول في محل أو جهة، و إلا لكان مُتَفَرِّقاً اليهما فلا يكون واجباً، و أنه لا يتحد بغيره، لأن الاتحاد غير معقول.

و يجب أن يعتقد أنه تعالى غير مركب عن شئ، و إلا لكان مفتقراً الى جزئه، فيكون ممكناً، و أنه تعالى يستحيل رؤيته، و إلا لكان في جهة، و قد بينا بطلانه، و أنه يستحيل عليه الحاجة و إلا لكان ممكناً، و هو محال.

##PAGE=22##

و يجب أن يعتقد أنه تعالى حكيم، لأنه لا يفعل قبيحاً، و لا يخل بالواجب، و إلا لكان ناقصاً، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

و يجب أن يعتقد نبوة نبينا محمد صلى الله عليه و آله، لأنه ظهر المعجز على يده، و ادعى النبوة، فيكون نبياً حقاً، و المقدمتان قطعيتان.

و يجب أن يعتقد أنه معصوم صلى الله عليه و آله و إلا لأرتفع الوثوق عن اخباراته، فتبطل فائدة البعثة.

و يجب أن يعتقد أنه خاتم الرسل، لأنه معلوم بالضرورة من دينه عليه السلام.

و يجب أن يعتقد أن الإمام الحق من بعده علي بن أبي طالب عليه السلام، لأنه صلى الله عليه و آله نص عليه نصاً متواتراً بالخلافة، لأن الامام يجب أن يكون معصوماً، لأن الإمامة لطف لأن الناس إذا كانوا لهم رئيساً و مهيباً مرشداً، كانوا الى الصلاح أقرب و من الفساد أبعد، و الأوّل واجب على الله تعالى، فتعين عليه تعالى نصب الإمام، و ذلك الإمام لا يجوز أن يكون جائز الخطاء، و إلا لافترق الى امام آخر، و يتسلسل، فثبت أنه معصوم، و غير علي بن أبي طالب عليه السلام ممن ادعى فيه الامامة بعد النبي صلى الله عليه و آله ليس بمعصوم بالإجماع، و الأدلة في ذلك اكثر من أن تحصى.

و يجب أن يعتقد أن يكون الامام بعد علي بن أبي طالب عليه السلام و كده الحسن، ثم من بعده الحسين، ثم علي، ثم محمد، ثم جعفر، ثم موسى، ثم علي، ثم محمد، ثم علي، ثم الحسن، ثم الخلف الصالح الحجة محمد المهدي، لأن كل إمام نص علي من بعده بالخلافة نصاً متواتراً، و لأن الإمام يجب أن يكون معصوماً، و غيرهم ليس بمعصوم بإجماع المسلمين، فتعينت الإمامة فيهم عليهم السلام.

و يجب أن يعتقد أن الإمام الحجة صلى الله عليه و آله و آله حي موجود في كل زمان بعد موت أبيه الحسن عليه السلام، لأن الزمان لا بد أن لا يخلو من امام معصوم، و غيره ليس بمعصوم بالإجماع، و إلا لخل الزمان عن الإمام مع وجود لطف واجب على الله تعالى في كل وقت.

و يجب أن يعتقد أن الله تعالى كلف العباد بالشرائع المعلومة من دين النبي صلى الله عليه و آله:

فمنها: (الصَّلَاةُ اليَوْمِيَّةُ) و هي: الظُّهْرُ، و العَصْرُ، و المَغْرِبُ، و العِشَاءُ، و الغَدَاةُ. و يفتقر الى مقدماتٍ منها: الطَّهَارَةُ و هي الوضوءُ، و الغُسلُ، و التَّيْمُمُ....
و منها: (الزَّكَاةُ) و هي يجبُ في تسعة أشياء: الأَبْلُ، و البَقْرُ، و الغَنَمُ، و الذَّهَبُ، و الحنطة، و الحنطة، و الشعير، و التَّمْرُ، و الزَّيْبُ.

##PAGE=23##

و منها: (الصَّوْمُ): و هو يجبُ في كلِّ سنةٍ شهرَ رمضان، و نيةِ الصَّوْمِ في كلِّ يومٍ مِنْ أَيَّامِهِ، و وقتها الليل الى طلوع الفجر، فيقول ليلاً: (أصومُ غداً لوجوبه قربةً الى الله)
و منها: (الخُمْسُ): و هو يجبُ في أرباحِ التجارات، و الصناعات، و الزراعات، و المعادن، و الغوص، و الكنوز، و الغنائم دارالحرب، و أنما يجبُ في أرباحِ التجارات و الصناعات و الزراعات بعد إخراج مؤنة السَّنَةِ له و لعياله على الاقتصاد من غير اسرافٍ و لاتقتير، ...
و منها: (الحجَّ و العُمْرة): و هما واجبان في العُمْر مرةً واحدةً، و الحجُّ ثلاثة أقسام: تمتعٌ، و قرانٌ، و إفرادٌ....
و منها: (الجهاد) و هو واجبٌ على الكفاية لحراسة المسلمين، فُيجبُ مطلقاً، أو للرد الى الدين، و يجبُ بشرط دعاء الامام اليه أو من نصبه.

و منها: (الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر): هذان واجبان على كلِّ مَنْ يستطيع اليه بشروطٍ و هي: العلمُ بكون المعروف المعروفاً، و المنكر منكراً، و تجويز تأثير الإنكار، و الأمن من الضَّرر.
ولهذا نذكر هنا رسالة واجب الاعتقاد للعلامة حسين بن يوسف الحلبي (ت ٧٢٦) في معتقدات الشيعة ملخصاً:

بسم الله الرحمن الرحيم، و به نستعين
الحمدُ لله على نعمائه، و صلى الله على سيّد رسله، و أشرف انبيائه، محمدٍ المصطفى، و على المعصومين من أبنائه.
أما بعدُ: فقد بينتُ في هذه المقالة واجبُ الاعتقاد على جميع العباد، و لخصتُ فيها ما يجبُ معرفته من المسائل الأصولية على الأعيان، و ألحقتُ بها بيان الواجب من أصول العبادات، و الله الموفق للخيرات. فنقول:
يجبُ على المكلف أن يعتقد أن الله تعالى موجودٌ، لأنّه أوجد العالم بعد أن لم يكن، إذ لو كان العالم قديماً لكان إما متحركاً أو ساكناً، و القسمان باطلان:
أما الحركة فلأنّ ماهيتها تستدعي المسبوقية بالغير، و القديم لا يصحُّ إقتضاءً أن يكون مسبوqاً بالغير، فلا يعقلُ قَدَم الحركة.

##PAGE=24##

و كذلك السُّكُون، لأنّه عبارةٌ عن الكون الثاني في المكان الأوّل، فيكون مسبوqاً بالكون الأوّل بالضرورة، و الأزلَى لا يصحُّ أن يكون مسبوqاً بغيره، فثبت حدوث العالم، فيجبُ أن يكون له مُحدثٌ بالضرورة، و هو المطلوب.
و لا يجوز أن يكون كذلك المُحدثُ مُحدثاً و إلاّ إفتقر الى مُحدثٍ آخر، فأمّا أن يتسلسل أو يدور، أو يثبت المطلوب، و هو اثبات مؤثّر غير مُحدثٍ، و التسلسل و الدور باطلان، فثبت المطلوب.

ويجب أن يعتقد أنه تعالى واجب الوجود، لأنه لو كان ممكن الوجود لأفتقر إلى مؤثر، فإما أن يدور، أو يتسلسل، أو ينتهي إلى واجب الوجود، وهو المطلوب.

ويجب أن يعتقد أنه تعالى قديم، أزلي، باق، أبدى، لأنه لو جاز عليه العدم لم يكن واجب الوجود، وقد ثبت أنه واجب الوجود.

ويجب أن يعتقد أنه تعالى قادر، لأنه لو كان موجباً لزم قدم العالم أو حدوثه تعالى، لإستحالة انفكاك المعلول عن علته، وقد بينا أن العالم مُحدثٌ.

ويجب أن يعتقد أنه تعالى عالم، لأنه فعل الأفعال المحكمة المُتقنة، وكل من كان كذلك كان عالماً بالضرورة. ويجب أن يعتقد أنه تعالى حي، لأن معنى الحي هو الذي يصح منه أن يقدر و يعلم، وقد بينا أنه قادر، عالم، فيكون حياً بالضرورة.

ويجب أن يعتقد أنه تعالى قادر على كل مقدور، وعالم بكل معلوم، لأن نسبة المقدورات والمعلومات إليه بالسوية، لأن مقتضى إسناد الأشياء إليه هو الإمكان، وجميع الأشياء مشتركة في هذا المعنى، وليس علمه تعالى ببعض الأشياء أولى من علمه ببعض الآخر، فإما أن لا يعلم شيئاً منها، وقد بينا استحالتة، أو يعلم البعض دون البعض، وهو ترجيح من غير مرجح، أو يعلم الجميع، وهو المطلوب.

ويجب أن يعتقد أنه تعالى سميع، بصير، لأنه عالم بكل معلومات، ومن جملتها المُسمع والمُبصر، فيكون عالماً بهما، وهو معنى كونه سميعاً بصيراً.

ويجب أن يعتقد أنه تعالى واحد، لأنه لو كان معه إله آخر لزم المحال، لأنه لو أراد أحدهما حركة الجسم، وأراد الآخر سكونه، فإما أن يقعا معاً وهو محال، وإلا لزم إجتماع المُتناقضين، وإما أن لا يقعا معاً فيلزم خلو الجسم عن الحركة والسكون، وهو باطل بالضرورة، أو يقع مراد أحدهما دون الآخر، وهو ترجيح من غير مُرجح.

##PAGE=25##

ويجب أن يعتقد أنه تعالى مريد، لأنه أمر بالطاعة على جميع العباد فيكون مريداً لها، ولأن نسبة الحدوث إلى جميع الأوقات بالسوية، فلا بد من مُخصّص وهو الإرادة.

ويجب أن يعتقد أنه تعالى ليس بجسم، ولا جوهر، ولا عرض، وإلا لكان مُتحيّزاً أو حالاً في المُتحيّز، فيكون مُحدّثاً، وأنه تعالى يستحيل عليه الحلول في محل أو جهة، وإلا لكان مُفتقراً إليهما فلا يكون واجباً، وأنه لا يتحدّ بغيره، لأن الاتحاد غير معقول.

ويجب أن يعتقد أنه تعالى غير مركب عن شيء، وإلا لكان مُفتقراً إلى جزئه، فيكون ممكناً، وأنه تعالى يستحيل رؤيته، وإلا لكان في جهة، وقد بينا بطلانه، وأنه يستحيل عليه الحاجة وإلا لكان ممكناً، وهو محال.

ويجب أن يعتقد أنه تعالى حكيم، لأنه لا يفعل قبيحاً، ولا يخل بالواجب، وإلا لكان ناقصاً، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

ويجب أن يعتقد نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وآله، لأنه ظهر المُعجز على يده، وإدعى النبوة، فيكون نبياً حقاً، والمقدمتان قطعيتان.

ويجب أن يعتقد أنه معصوم صلى الله عليه وآله وإلا لأرتفع الوثوق عن إخباراته، فتبطل فائدة البعثة.

ويجب أن يعتقد أنه خاتم الرسل، لأنه معلوم بالضرورة من دينه عليه السلام.

ويجب أن يعتقد أن الإمام الحق من بعده علي بن أبي طالب عليه السلام، لأنه صلى الله عليه وآله نص عليه نصاً متواتراً بالخلافة، لأن الامام يجب أن يكون معصوماً، لأن الإمامة لطف لأن الناس إذا كانوا لهم رئيسٌ ومهيبٌ مرشداً، كانوا إلى الصلاح أقرب ومن الفساد أبعد، والأوّل واجبٌ على الله تعالى، فتعين عليه تعالى نصب الإمام، وذلك الإمام لا يجوز أن يكون جائز الخطاء، وإلا لافتقر إلى إمام آخر، ويتسلسل، فثبت أنه معصوم، وغير علي بن أبي طالب عليه السلام ممن ادّعى فيه الإمامة بعد النبي صلى الله عليه وآله ليس بمعصوم بالإجماع، والأدلة في ذلك أكثر من أن تُحصى.

ويجب أن يعتقد أن يكون الإمام بعد علي بن أبي طالب عليه السلام وكده الحسن، ثم من بعده الحسين، ثم علي، ثم محمد، ثم جعفر، ثم موسى، ثم علي، ثم محمد، ثم علي، ثم الحسن، ثم الخلف الصالح الحجة محمد المهدي، لأن كل إمام نص عليه من بعده بالخلافة نصاً متواتراً، ولأن الإمام يجب أن يكون معصوماً، وغيرهم ليس بمعصوم بإجماع المسلمين، فتعينت الإمامة فيهم عليهم السلام.

##PAGE=26##

ويجب أن يعتقد أن الإمام الحجة صلى الله عليه وآله حتى موجود في كل زمان بعد موت أبيه الحسن عليه السلام، لأن الزمان لا بد أن لا يخلو من إمام معصوم، وغيره ليس بمعصوم بالإجماع، وإلا لخلا الزمان عن الإمام مع وجود لطف واجب على الله تعالى في كل وقت.

ويجب أن يعتقد أن الله تعالى كلف العباد بالشرائع المعلومة من دين النبي صلى الله عليه وآله:

فمنها: (الصلاة اليومية) وهي: الظهر، والعصر، والمغرب، والعشاء، والغداة. ويفتقر إلى مقدمات منها: الطهارة وهي الوضوء، والغسل، والتيمم....

ومنها: (الزكاة) وهي يجب في تسعة أشياء: الأبل، والبقر، والغنم، والذهب، والحنطة، والحنطة، والشعير، والتمر، والزبيب.

ومنها: (الصوم): وهو يجب في كل سنة شهر رمضان، ونية الصوم في كل يوم من أيامه، ووقتها الليل إلى طلوع الفجر، فيقول ليلاً: (أصوم غداً لوجوبه قرباً إلى الله).

ومنها: (الخمس): وهو يجب في أرباح التجارات، والصناعات، والزراعات، والمعادن، والغوص، والكنوز، والغنائم دار الحرب، وإنما يجب في أرباح التجارات والصناعات والزراعات بعد إخراج مؤنة السنة له ولعياله على الاقتصاد من غير إسراف ولا تقتير،

ومنها: (الحج والعمرة): وهما واجبان في العمر مرة واحدة، والحج ثلاثة أقسام: تمتع، وقران، وإفراد.

ومنها: (الجهاد) وهو واجب على الكفاية لحراسة المسلمين، فيجب مطلقاً، أو للرد إلى الدين، ويجب بشرط دعاء الإمام إليه أو من نصبه.

ومنها: (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر): هذان واجبان على كل من يستطيع إليه بشروط وهي: العلم بكون المعروف معروفاً، والمنكر منكراً، وتجويز تأثير الإنكار، والأمن من الضرر.

##PAGE=27##